



السنن التاريخية في القرآن الكريم عرب قبل الإسلام أنموذجاً

السنن التاريخية في القرآن الكريم عرب قبل الإسلام أنموذجاً

الدكتور سيد محمد حسيني

أستاذ مساعد في قسم المعارف الاسلامية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الرازي، كرمنشاه، الجمهورية الاسلامية الايرانية^٢

الدكتور علي رضا طببي

عضو هيئة التدريس في جامعة طهران، كلية المعارف والفكر الاسلامي طهران، طهران، الجمهورية الاسلامية الايرانية^١

الدكتورة خنساء ناجي عبد علي

مدرسة مساعدة، جامعة طهران، طهران، الجمهورية الاسلامية الايرانية

البريد الإلكتروني Email : khnsa2339@gmail.com

الكلمات المفتاحية: السنن التاريخية، العرب قبل الإسلام، القرآن الكريم، القانون الإلهي، الانهيار الحضاري.

كيفية اقتباس البحث

طبيبي، علي رضا ، سيد محمد حسيني ، خنساء ناجي عبد علي ، السنن التاريخية في القرآن الكريم عرب قبل الإسلام أنموذجاً، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٦، المجلد: ١٦، العدد: ٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

Registered في مسجلة في

ROAD

Indexed في مفهرسة في

IASJ

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2026 Volume :16 Issue : 4
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)



Islamic Arabs -Holy Qur'an: Pre Historical Traditions in the as a Model

Professor Alireza Tabibi
r, University Faculty Membe
of Tehran, Faculty of Islamic
Thought and Knowledge,
Tehran, Islamic Republic of
Iran

Seyyed Mohammad Hosseini
Assistant Professor, Department
of Islamic Knowledge, Faculty
of Arts and Humanities, Razi
University, Kermanshah, Islamic
Republic of Iran

Khansa Naji Abdali, Assistant
Professor, University of
Tehran, Tehran, Islamic
Republic of Iran

Keywords : Historical Sunan, Pre-Islamic Arabs, the Qur'an, Divine Law, Civilizational Collapse.

How To Cite This Article

Tabibi ,Aliriza,Seyyed Mohammad Hosseini ,khansa naji abdali,
Islamic Arabs as a-Historical Traditions in the Holy Qur'an: Pre
Model Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, april
2026,Volume:16,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license
(<http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>)

[This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.](http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/)

Abstract

This study emerges from a central question that has occupied a significant space in contemporary Islamic thought: how the Qur'an addresses the movement of history as a stage for interaction between human agency and divine laws. The Qur'an does not present events as isolated occurrences or sequential narratives; rather, it frames them within a coherent legal system that links the past to the present and opens



horizons for civilizational interpretation. Building on this awareness, the present study—entitled Historical Laws in the Qur'an: The Arabs before Islam as a Model—examines the epistemological structure established by the Qur'anic text, viewing it as a comprehensive framework that regulates the dynamics of societies and reveals laws that recur whenever their conditions are met. The study begins with two fundamental problems: the neglect of the historical-legal dimension of the Qur'an in much of exegetical heritage, and the predominance of mythological or homiletic approaches to the text, which marginalized the law-like perspective that refuses to separate action from consequence. Accordingly, the study seeks to apply these laws to the Arabs before Islam, who constituted a complete historical model in which mechanisms of decline and revival were manifested, thereby demonstrating the sensitivity of these laws to moral, social, and political deviation. Methodologically, the study adopts an inductive analytical approach, tracing the meanings of historical laws in the Qur'an and interpreting them within their historical context. It arrives at several significant findings, most notably: that historical laws are a fixed legal system not biased toward any particular community; that the Qur'an employs history as a reformative tool; that the experience of the Arabs before Islam embodied laws such as substitution, respite, and proportionality between sin and punishment; that the failure of societies cannot be attributed solely to external factors but rather to internal patterns of deviation; and that psychological transformation constitutes the deepest driver of every civilizational change.

المخلص

تنبثق هذه الدراسة من سؤال محوري شغل حيّزاً واسعاً في التفكير الإسلامي المعاصر، وهو الكيفية التي عالج بها القرآن الكريم حركة التاريخ بوصفه مسرحاً للتفاعل بين الإنسان والسنن الإلهية. فالقرآن لا يقدّم الأحداث بوصفها وقائع معزولة أو روايات متتابعة، بل يطرحها ضمن منظومة قانونية متينة، تربط الماضي بالحاضر وتفتح أفقاً للتفسير الحضاري. ومن خلال هذا الوعي، تتجه هذه الدراسة الموسومة بـ(السنن التاريخية في القرآن الكريم: عرب قبل الإسلام أنموذجاً) إلى فحص البنية المعرفية التي أسّس لها النص القرآني، باعتباره إطاراً كلياً يضبط حركة المجتمعات ويكشف عن القوانين التي تتكرر كلما توفّرت شروطها. وتتطلق الدراسة من إشكاليتين أساسيتين: إغفال جزء كبير من التراث التفسيري لبعد القانون التاريخي في القرآن، وتغليب الطابع الأسطوري أو الوعظي على مقارنة النص، ما أدى إلى تهميش النظرة السننية التي لا تفصل بين الفعل ونتيجته. ومن ثمّ، تحاول الدراسة تطبيق هذه السنن على العرب قبل



الإسلام، إذ شكّلوا نموذجاً تاريخياً متكاملًا تجلّت فيه آليات الانهيار والنهوض، بما يكشف عن حساسية السنن تجاه الانحراف الأخلاقي والاجتماعي والسياسي. وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الاستقرائي، القائم على تتبع دلالات السنن في القرآن وتفسيرها ضمن سياقها التاريخي. وتوصّلت إلى نتائج ثرية، أهمها: أن السنن التاريخية منظومة قانونية ثابتة لا تتحيز لجماعة، وأن القرآن يوظّف التاريخ كأداة إصلاحية، وأن تجربة العرب قبل الإسلام جسّدت قوانين مثل الاستبدال، والإمهال، والتناسب بين الذنب والعقوبة، وأن فشل المجتمعات لا يُردّ إلى العوامل الخارجية فقط بل إلى الأنماط الداخلية للانحراف، وأن التغيير النفسي هو المحرك الأعمق لكل تحوّل حضاري.

المقدمة

يمثّل القرآن الكريم منجمًا معرفيًا متفردًا تتكشف فيه أعماق رؤى الوجود الإنساني، وتنعكس من خلال آياته بنية التاريخ البشري في أدقّ تموجاته ومساراته، بحيث لا يقدر الأحداث بوصفها سردًا لماضٍ انقضى، ولا كذكريات لشعوب اندثرت، بل يطرحها في قالب تشريعي تتضافر فيه الدقة المنهجية مع الصرامة المفهومية، موجّهًا الوعي نحو ما وراء الظاهر، ومحرضًا العقل على اكتناه العلل التي تحكم مصائر الأمم وصيرورة الحضارات وسقوط الدول وانتكاسات الممالك. وتندرج هذه الرؤية ضمن ما يصطلح عليه الخطاب القرآني بـ«السنن التاريخية»، وهي بنية تفسيرية عميقة تتجاوز الطارئ لتستقر عند الثابت والمتكرر، كما في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^١، وهو تعبير يفيض بإطلاق لا يسمح بتأويل هشّ، ويؤسّس لفكرة التكرار الملازم لحركية التاريخ ضمن قوانين صارمة تتأى عن الاعتباط. وعند الوقوف أمام هذه السنن، لا نجد أنفسنا بإزاء سردية لاهوتية منفصلة عن الواقع، بل أمام منظومة تفسيرية ذات طابع حركي، تتشابه فيها قوانين الوجود مع مسارات الإنسان واختياراته، بحيث تغدو السنن أداة لكشف العلاقة بين البنية الداخلية للمجتمعات وتحولاتها الخارجية. وفي سياق عالم يشهد اضطرابًا في القيم، وانفجارًا في التحولات الاجتماعية، وتصدعات معرفية عميقة، تبدو العودة إلى السنن القرآنية محاولة لإعادة ترسيم العلاقة بين الإنسان والتاريخ على قاعدة الفهم لا على قاعدة الامتثال، وعلى أساس الاستبصار لا الاستسلام. فالسنن القرآنية توفر عدسة تحليلية يرى من خلالها الحاضر لا كمجرد امتداد غائم للماضي، بل كاستجابة لقوانين تسكن البنية العميقة للأمم، تظهر حينًا في السلوك الجمعي، وتختفي حينًا في طبقات اللاوعي التاريخي، بحيث يصبح الوعي بها ضرورة وجودية لفهم الذات والمجتمع والعالم واستشراف ما سيكون.





ولم يخلُ الخطاب القرآني من نماذج حية لتجليات السنن في تاريخ العرب قبل الإسلام؛ غير أن معالجة هذا الجانب تستلزم البدء بتعريف موجز للعرب في ذلك العصر، إذ إنهم جماعة سامية واسعة توزعت بين عرب بائدة، مثل عاد وثمود، وعرب عاربة ومستعربة تبلورت لغتهم ولهجاتهم في الجزيرة العربية ومحيطها. وقد ورد ذكر عاد وثمود في القرآن بوصفهم من الشعوب البائدة التي استوطنت مناطق معروفة في شمال الجزيرة وجنوبها، وتجمع الشواهد اللغوية والنقوش على انتمائهم إلى الفروع السامية القريبة من العربية، وإن كان توصيف عربيتهم بالمعنى العرقي الدقيق موضع نقاش بين الباحثين. وقد جاء في كتاب فاندنايك: «أما قوم عاد فقد هلكوا وتفصيل هلاكهم يعلم من القرآن الكريم، أما قوم ثمود فقد استوطنوا أولاً في بلاد اليمن ثم بعد طردهم منها ذهبوا إلى الحجر بالقرب من حدود الشام، وجاء عنهم في القرآن الشريف أنهم سكنوا الكهوف والصخور ونحتوا لأنفسهم مساكن في الجبال لا تزال إلى يومنا هذا»^٢. أما قوم لوط، فقد سكنوا قرى سدوم وعمورة قرب البحر الميت، وينتمي أغلبهم إلى الجماعات الكنعانية من الشعوب السامية الغربية المتحدثة بلهجات قريبة من العربية، غير أنهم لا يعدّون عرباً بالمعنى القبلي أو العرقي المتعارف عليه في مدونات الأنساب. وقد جاء في تفسير المنار: «وكان في ذلك المكان المسمى بعمق السديم قرب البحر الميت الذي سمي ببحر لوط أيضاً، القرى أو المدن الخمس: سدوم وعمورة وأدمة وصبوبهم وبعال التي سميت بعد ذلك صوغر لصغرها، فكان لوط في عاصمتها سدوم التي كانت تعمل الخبائث، ولا يعلم أحد الآن أين كانت تلك القرى من جوار بحر لوط إذ لم يوجد من الآثار ما يدل عليها»^٣. ومن ثمّ، فإن إدراج هذه الأقوام ضمن الإطار العربي يتطلب تمييزاً بين الانتماء اللغوي والانتماء العرقي، حتى لا يختل البناء التفسيري للسنن، ولا يختلط التاريخ بالأسطورة أو الرواية الشعبية.

وإذا فُرئت القصص القرآنية المتعلقة بهذه الأقوام في ضوء هذا التحديد، ظهرت في صورة مختبر تطبيقي للسنن التاريخية، لا في هيئة حكايات ماضوية. وأصبح واضحاً أن القصص تعرض مصائر عاد وثمود وأصحاب الفيل وأصحاب الأخدود وغيرهم، لا لكي يستعيد ذاكرة غابرة، بل ليكشف آليات العمل الداخلي للتاريخ، وكيف تتفاعل النعمة مع الجحود، والاستكبار مع الانهيار، والوعي مع الزوال. وفي هذا السياق ترد الآية الكريمة: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^٤، وهي دعوة تنتقل بالقارئ من التأمل إلى الاستقراء، ومن السرد إلى التحليل، ومن النص إلى العالم.

وتتبع هذه الدراسة من حاجة علمية وإنسانية تتجاوز مجرد رصد السنن في حدودها اللغوية أو حضورها النصي، لتسعى نحو بناء قراءة موسعة تستند إلى المناهج العلمية الحديثة



وتستتير بالبنية القرآنية العميقة، بغية إعادة تشكيل التصور الكلي للتاريخ ضمن رؤية قرآنية شمولية، تُقارب الواقع وتبني للمستقبل في آنٍ واحد. فهذه الدراسة لا تقتصر على تعريف السنن أو تحليلها، بل تتجه إلى مستوى التفعيل والتمثّل، بحيث تُوظّف السنن كعلامات إرشادية في مسار الأمم، وكمرآة تتكشف فيها صورة الإنسان وأزمته ومآلاته.

وتكتسب هذه المقاربة طابعها الإشكالي من غياب المعالجة البنيوية لمفهوم السنن في الفكر العربي المعاصر، حيث تسود المقاربات الجزئية، وتغيب الرؤية المتكاملة التي تربط بين النص القرآني والعقل التاريخي للمجتمعات الإسلامية، حتى بدا النص كأنه معلق خارج الزمن في بعض القراءات المعاصرة. وإزاء هذا النقص، تقترح هذه الدراسة إعادة وصل السنن القرآنية بتاريخ العرب قبل الإسلام، لا بوصفه مادة تراثية أو حكاية ماضية، بل بوصفه أنموذجاً تجريبياً تتجلى فيه حركة القوانين الإلهية في الواقع البشري، بحيث يمكن من خلاله فهم آليات السقوط والقيام، وتفكيك معادلات القدر والفعل الإنساني ضمن بنية القرآن العميقة.

ومن خلال هذا الاقتراب، لا تسعى هذه الدراسة إلى إحياء مفهوم مهممل أو معالجة موضوع مطروق، بل إلى صياغة منظور قرآني قادر على النظر إلى الواقع من داخله، وتمثّل حركة المجتمعات في ضوء السنن الإلهية التي تحكم التاريخ وتوجه البشر. وهكذا يغدو تحليل النماذج العربية قبل الإسلام مدخلاً لفهم أوسع لحركية التاريخ، ورؤية أدق لجذلياته، وسيافاً يُعاد من خلاله بناء علاقة الإنسان بالزمن على ضوء السنن المحكمة التي بنّها القرآن في نسيجه الخطابي.

الإطار المفاهيمي للدراسة

مفهوم السنن التاريخية

يُقصد بالسنن التاريخية تلك القوانين الضابطة لحركة الاجتماع البشري، وهي قوانين لا تتبدل ولا تتحول، بل تجري وفق نظم ثابتة تكشف عن العلاقة بين فعل الإنسان ومصائر الحضارية، وقد عبّر عنها القرآن الكريم بصيغٍ متعددة من قبيل: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^٥. وهذه السنن لا تُفهم بوصفها إطاراً تجريبياً، بل باعتبارها قانوناً تاريخياً ينبثق من تفاعل الإنسان مع الوحي ومع شروطه الاجتماعية وواقعه الثقافي. ويقوم هذا المفهوم على فرضية مركزية مفادها أنّ التاريخ لا يسير اعتباطاً، بل وفق نظام يُنتج آثاره كلما تكررت أسبابه في أي مجتمع من المجتمعات.

وتقتضي الدراسة، قبل الخوض في نماذج السنن في القصص القرآني، تقديم تعريف موجز للعرب قبل الإسلام. فالعرب - بحسب أوسع التصنيفات المعتمدة في الدراسات اللغوية والأنثروبولوجية -





هم طائفة من الشعوب السامية التي سكنت جزيرة العرب ومحيطها، وانقسموا إلى عرب بائدة مثل عاد وثمود، وعرب عاربة مثل القحطانيين، وعرب مستعربة مثل العدنانيين. ويلاحظ أنّ الأقسام المذكورة في القصص القرآني لا تنتمي كلها إلى العرب بالمعنى العرقي الدقيق؛ فعاد وثمود من الشعوب العربية البائدة ذات الأصل السامي العربي، وقد استوطنت عاد جنوب الجزيرة العربية، بينما توزعت مساكن ثمود في شمال الجزيرة وما جاورها. وقد جاء في كتاب مصر الأخرى: «ومن هؤلاء الأقسام عددهم ابن خلدون قوم عاد وثمود وهود وصالح وإرم وطم وجديس وعبيل وجرهم والعماليق وغيرهم من شعوب العرب البائدة والجاهلية الأولى»^٦. أمّا قوم لوط، فقد سكنوا قرى سدوم وعمورة قرب البحر الميت، ويُرجّح في الدراسات التاريخية أنهم من الكنعانيين، أي من الشعوب السامية المتحدثة بلغة قريبة من العربية، لكنهم لا يُعدّون عرباً وفق المعنى العرقي الخاص، وهو ما يقتضي الدقة في نسبة الأقسام عند دراسة السنن التاريخية.

وتُستعمل مفردة "السنة" في اللغة بمعنى الطريقة والسيرة والنهج المستمر، سواء أكان محموداً أم مذموماً. وقد تطوّر هذا المعنى في الحقل الشرعي ليشير إلى ما صدر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير. غير أنّ البحث في السنن التاريخية لا يتصل بمفهوم السنة الفقهي، بل يقوم على رصد القوانين المستقرة التي دل عليها النص القرآني في تفسير حركة التاريخ. وينبغي التمييز بين "سنة النبي" بوصفها مصدراً للتشريع، وبين "سنن الله" بوصفها قوانين كونية وتاريخية تحكم الأمم والمجتمعات. و من الجانب اللغوي؛ الوجه. الصّورة، يقال؛ هو أشبهُ شَيْءٍ به سُنَّةٌ. (ج) سُنَنٌ. الطريقةُ. السَّيْرَةُ حَمِيدَةٌ كانت أو ذَمِيمَةً. (في الشرع)؛ العمل المحمود في الدين مما ليس قَرْضاً و لا واجباً. الطَّبِيعَةُ و الخُلُقُ^٧.

وتقوم السنن التاريخية في القرآن على ثنائية مركزية هي ارتباط النتائج بالأسباب، واطراد الجزاء وفق نمط سلوكي يعكس طبيعة الاستجابة الإنسانية للحق أو الباطل. فالسنن ليست مجرد وعظ أو ترهيب، بل هي نماذج تفسيرية لفهم الواقع الاجتماعي وسيرورة المجتمعات عبر الزمن، ولهذا يُعنى القرآن بذكر مصائر العرب قبل الإسلام وغيرهم لتأكيد أنّ التاريخ مجال خاضع للقانون، وأنّ العوامل الثقافية والدينية والقيمية تُسهم في تشكيله على نحو مباشر.

وتأخذ الدراسة بعدها المنهجي الدقيق حين تُميز بين الأقسام العربية البائدة التي شكّلت جزءاً من البنية الحضارية للعرب قبل الإسلام، وبين الشعوب السامية المتاخمة التي ورد ذكرها في القرآن دون أن تكون عربية خالصة. ويُعدّ هذا التمييز ضرورة منهجية لفهم السنن على نحو صحيح، لأنّ السنن لا تُستنبط من مجرد الانتماء الجغرافي، بل من تكرار الأنماط السلوكية والقيمية، ومن المقارنة بين بنى الوعي والإيمان والرفض والاستكبار في المجتمعات المختلفة.

وتأسيساً على ما سبق، فإن مفهوم السنن التاريخية يشكل المدخل النظري لهذه الدراسة، ويتيح إطاراً لفهم النماذج القرآنية المتعلقة بالعرب قبل الإسلام، بوصفها نماذج تطبيقية تُبرز كيفية اشتغال القوانين الإلهية في مسارات الأمم. كما يُسهم هذا الإطار في ضبط الموضوع ضمن سياقه المعرفي، وتجنب الخلط بين البعد الفقهي لمفهوم السنة وبين البعد التاريخي الكوني لمفهوم السنن.

السنة في الفكر الإسلامي

تُفهم السنة في الرؤية الإسلامية بوصفها الإطار الجامع للقوانين التي بنَّها الله في الوجود، فجعلها تحكّم حركة الكون وسير الكائنات على اختلاف طبائعها وبعبارة أخرى؛ هي مجموع القوانين التي سنَّها الله لهذا الوجود وأخضع لها مخلوقاته جميعاً على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها^٨. ويقول محمد هيشور في كتابه سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها: "السنة مجموع القوانين التي يسير وفقها الوجود كله وتتحرك بمقتضاها الحياة"^٩. وقد عرّفها عبد الكريم زيدان بأنّها "الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"^{١٠}. ويقول جودت سعيد في تعريفه للسنة: "السنة قانون، وهي التي على أساسها ترتفع وتتخضّ المجتمعات، وعلى أساسها يكافئ الله ويُعاقب"^{١١}. وإذا رجعنا إلى الشيخ محمد الغزالي في كتابه كيف نتعامل مع القرآن، نجدّه يقول: "وكلمة سنة تعني القانون المطرد الذي لا يتخلف إلا في قضايا السنن الخارقة، أمّا السنن الجارية فلا تتخلف، وإن كان لا يرى اطرادها واضحاً وصارماً كقوانين المادة"^{١٢}. ومن هنا أشار محمد باقر الصدر إلى سنة من سنن التاريخ، وهي أنّ الأنبياء عليهم السلام دائماً كانوا يواجهون المترفين من مجتمعاتهم كقطب معارض؛ لأنهم المستقيرون، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^{١٣}.^{١٤}

ويدخل في هذا المفهوم كل نظام مطرد تستند إليه الحياة في انتظامها، إذ تُصاغ السنن في سياق يكشف عن ارتباط الفعل بنتيجته وارتباط السلوك بمآلاته، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة. وتبرز هذه الفكرة بوضوح في معالجة الفكر الإسلامي لحركة التاريخ، حيث تتخذ السنن صيغة قوانين عامّة لا تتحيز لجماعة ولا تُجامل أمة، بل تعمل وفق نظام يتصل بالعدل الإلهي وبمبدأ المسؤولية الإنسانية.

ويقتضي السياق التاريخي للدراسة تقديم تعريف موجز للعرب قبل الإسلام. فهم شعب سامي واسع الامتداد تكوّنت منه ثلاث طبقات: العرب البائدة كعاد وثمود، والعرب العاربة من القحطانيين، والعرب المستعربة من العدنانيين. وتُعد عاد وثمود من الأقاليم العربية البائدة ذات الجذور السامية



العربية، وقد استوطنت عاد جنوب الجزيرة العربية، بينما انتشرت ثمود في شمالها وما جاورها. أما قوم لوط، فليسوا من العرب عرقياً، بل يُرَجَّح أنهم من الكنعانيين، وهم قوم ساميون أقرب لغويًا إلى العربية، وقد سكنوا قرى سدوم وعمورة قرب البحر الميت. ويُظهر هذا التمييز ضرورة التفريق بين الانتماء اللغوي والانتماء العرقي عند استحضار النماذج القرآنية، إذ لا ترتبط السنن التاريخية بالعرف بقدر ما ترتبط بالبنية السلوكية والقيمية للمجتمعات.

ويُنظر إلى السنن بوصفها نظامًا كونيًا يسير وفقه الوجود ويتحرك بحسبه تاريخ الإنسان، فهي قانونٌ يفسر حركة الحضارات ويحدد أسباب نهوضها وتدهورها. وتُصور النصوص الإسلامية هذا القانون بأنه معيار عادل يجري على الناس جميعاً، فلا يُستثنى منه مجتمع دون آخر، ولا يُعطى لأجل رغبة أو ميل، بل يظهر أثره كلما توفرت أسبابه واستكملت شروطه. ومن هنا تُبنى المقاربة التاريخية في الفكر الإسلامي على رصد انتظام السنن في حياة الأمم، باعتبارها المبدأ الذي يكشف الاستجابة الإنسانية للحق والباطل، ويُظهر أثر الموقف الأخلاقي في صناعة المصير.

وقد تناول كثير من المفكرين طبيعة السنن من زاوية علاقتها بالبشر، فتظهر في كتاباتهم بوصفها الطريقة الثابتة التي يعامل الله بها الناس وفق أعمالهم ومواقفهم، وما ينشأ عنها من نتائج تتجلى في الواقع المعيش وفي الآخرة. ويُفهم من ذلك أنّ السنن ليست مجرد قوانين نظرية، بل هي منظومة عملية تُحدّد اتجاه التاريخ وتؤثر في صعود المجتمعات وهبوطها، فتربط بين الطاعة والازدهار، وبين الظلم والانهيار، ضمن سياق يُبرز أنّ إرادة الإنسان جزء فاعل في حركة التاريخ.

ويتسع مفهوم السنن ليشمل البنى الاجتماعية التي تواجه الأنبياء عبر العصور، حيث يرد في القرآن نموذج متكرر يتمثل في موقف المترفين الراضين للرسالة، لكونهم المستفيد الأكبر من بقاء الفساد وتماسك الامتيازات. ويعكس هذا السلوك أحد القوانين التاريخية التي تبين أن الفئات النافذة غالباً ما تقف في وجه التغيير، إذ ترى في العدل تهديداً لمكاسبها، فيتحول الرفض إلى نمط اجتماعي يعيد إنتاج نفسه عبر الأمم.

ويمتاز النظام السنني في القرآن الكريم بخصائص عدة تجعل منه نموذجاً تفسيرياً لفهم حركة التاريخ. فهو أولاً نظام ثابت لا يقبل التبدل أو التحويل، كما يظهر في قوله تعالى ﴿قُلْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^{١٥}، مما يدل على رسوخ العلاقة بين السبب ونتيجته. وهو ثانياً نظام عام شامل يسري على جميع الأمم دون استثناء، لقوله تعالى ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾^{١٦}، وهو ما يمنح مفهوم السنن طابعاً كونياً. وهو ثالثاً نظام موضوعي لا يخضع للمزاج البشري ولا يتأثر بالأهواء، بل يجري وفق معايير محكمة.



ويقوم رابعاً على مبدأ السببية الذي يجعل النتائج مترتبة على أسبابها وفق توازن دقيق. وهو خامساً نظام يعمل بصورة تدريجية، إذ لا تقع آثاره دفعة واحدة، بل تُمهّد لها مراحل تتوافق مع سنة الإمهال وامتداد الفرص، كما في قوله تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^{١٧}.

وتمثل هذه الخصائص وحدة تفسيرية متكاملة توضح كيف ينظر الفكر الإسلامي إلى حركة التاريخ، وكيف تُقرأ النماذج القرآنية، بما فيها تجارب العرب وغيرهم، بوصفها تجليات لقوانين ثابتة لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان، وإنما بفعل التغيير الذي يحدثه الإنسان في نفسه وسلوكه وقيمه.

السنن التاريخية في الفكر الإسلامي

تبلور مفهوم السنن التاريخية في الفكر الإسلامي بوصفه أداة معرفية لفهم الحركة الجدلية للمجتمعات البشرية، واستكشاف آليات التحول الحضاري عبر تتبع القوانين التي تنظم العلاقة بين الإنسان والزمان والمجال الجغرافي. وقد بدأ هذا التصور في مرحلة مبكرة من تاريخ الفكر الإسلامي، حين عمد المؤرخون الأوائل إلى قراءة الوقائع في ضوء القواعد الثابتة التي تحكم مصائر الأمم، من غير أن يضعوا لها تسمية اصطلاحية واضحة. فقد انصرف أصحاب السبيل وتاريخ الفتوح إلى رصد التفاعل بين الأفعال البشرية ونتائجها، مستندين ضمناً إلى قوانين العدل الإلهي، ومعتبرين أن الظواهر الاجتماعية لا تتولد عن المصادفات، بل تتبني على روابط سببية يمكن استكشافها ضمن مسار التاريخ الإنساني.

ومع القرن الثامن الهجري، بلغ هذا المفهوم مرحلة النضج النظري بفضل الجهد الفلسفي العميق الذي بذله ابن خلدون في مقدمته، حيث أعاد ترتيب الظواهر الإنسانية ضمن إطار منهجي يقوم على الملاحظة المقارنة والتحليل الاستقرائي. وقد نظر إلى المجتمع وفق طبائع العمران، ورأى أن دورته الحياتية تخضع لقوانين محكمة تُظهر تنقل الجماعات بين أطوار القوة والازدهار ثم التراخي والانهايار. ولم يكتف ابن خلدون بتوصيف هذه الحركة، بل درس جذورها النفسية والاقتصادية والبيئية، ورأى في العوامل المعنوية—كالعصبية والولاء الجماعي—محركات أساسية لقيام الدول أو سقوطها، مما جعل تصوره أقرب إلى ما نسميه اليوم بالسنن التاريخية التي وردت الإشارة إليها في القرآن. يقول ابن خلدون؛ "أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والأوقات والأمصار"^{١٨}



وانتقلت الفكرة في العصر الحديث إلى فضاء أوسع، حين عمد مفكرون معاصرون إلى إعادة قراءتها بما يتلاءم مع المعارف الإنسانية الجديدة. فظهرت دراسات تسعى إلى موازنة السنن القرآنية مع مناهج علم الاجتماع الحديث، محاولة الكشف عن البنية العميقة التي تنتظم حركة التغيير عبر التاريخ. وقد اتجه بعضهم إلى تحليل العلاقة بين المثل العليا والبناء الحضاري، معتبرين أن حضور المثل الأخلاقي المطلق في الوعي الجمعي يمنح المجتمع طاقة متجددة تتجاوز المحدوديات المادية. وذهب آخرون إلى أن فهم قوانين التاريخ لا يكتمل إلا بربط السلوك الفردي والجماعي بالبنية الثقافية التي تشكل الوعي وتحدد اتجاهات الفعل؛ فالثقافة، بما تحتويه من منظومة قيمية ورمزية، تعد المحرك الأول لبناء القوة أو تفككها.

وإلى جانب هذا التطور المفهومي، تبرز ضرورة التمييز بين الأقسام التي ورد ذكرها في السرد القرآني وبين مفهوم العرب في سياقه التاريخي الدقيق؛ إذ لا يمكن عدّ ثمود وعاد وقوم لوط عرباً بالمعنى العرقي الخالص. فقوم لوط، على سبيل المثال، استوطنوا قرى سدوم وعمورة في نطاق البحر الميت، ويرجح أنهم من الجماعات الكنعانية السامية التي كانت تتحدث لغة قريبة من العربية من غير أن تنتمي إلى القبائل العربية المعروفة في جزيرة العرب. وإغفال هذه الدقة الأنثروبولوجية يؤدي إلى عدم انتظام في القراءة التاريخية للسنن، لأن القانون المؤثر في حياة الأمم لا ينحصر في جماعة إثنية معينة، بل يشمل كل من خضع لبنية اجتماعية أو قيمية محددة، سواء كانت عربية أم سامية أم غير ذلك.

ومع اتساع الدراسات المقاصدية والقرآنية في العصر المعاصر، أصبحت السنن التاريخية محوراً للبحث في مسارات التغيير الاجتماعي، ووسيلة تفسيرية لطبائع النهوض والانحيار في المجتمعات الإسلامية وغيرها. وقد تناول باحثون معاصرون أثر المبادئ الأخلاقية في إعادة تشكيل الوعي الجمعي، ورأوا أن تفاعل الإنسان مع القيم العليا ليس فعلاً ميتافيزيقياً معزولاً، بل هو جزء من حركة تاريخية تتداخل فيها الدوافع النفسية والممارسات السياسية والنظم الاقتصادية. ومن خلال هذا المنظور، يتبين أن السنن لا تعمل دفعة واحدة، بل تتحرك ببطء متدرج يتوافق مع قدرة المجتمع على تكيف ذاته مع متطلبات الإصلاح أو مقاومته، الأمر الذي يجعل التاريخ سجلاً لتراكم الفعل الإنساني وطريقة انفعاله بالقيمة والواقع معاً¹⁹.

خصائص السنن التاريخية في القرآن الكريم

تتجلى خصائص السنن التاريخية في القرآن الكريم بوصفها إطاراً تفسيرياً يربط حركة المجتمعات البشرية بالقوانين الثابتة التي تنتظم الكون، وتوجّه أحداثه في مسار لا يخضع للصدفة، بل يقوم على انتظام محكم يكشف عن وحدة الرؤية الكونية التي يتأسس عليها الوعي القرآني. ويبدو هذا





المعنى واضحاً في اشتقاق السنن من مصدر رباني يجعلها جزءاً من البنية التشريعية التي تحكم الوجود في أبعاده الطبيعية والإنسانية، بما ينعكس على فهم التاريخ بوصفه مجالاً تتفاعل فيه الإرادة البشرية مع القوانين الإلهية في نسق تكاملي.

وينبثق المفهوم من كون السنن ذات مصدر علوي، إذ لا تُستمد من التجارب المحدودة للإنسان، بل تُقدّم في القرآن باعتبارها قوانين صادرة عن الوحي، تكشف عن انتظام خفي يعجز الإدراك البشري عن الإحاطة بجميع تفاصيله. ويظهر هذا المعنى في التعارض الظاهري بين ما يراه الجمهور من وقائع غريبة وبين ثبات النظام الكوني، حيث يميّز القرآن بين السنن الجارية التي تمثل القواعد المستقرة للخلق، والسنن الخارقة التي تعد استثناءات ذات حكمة مخصوصة، فلا يختل بها النظام الكلي وإن بدت للعين كأنها خروج عن مألوف الحركة.

ويمتدح في هذه السنن بُعد الحتمية ببعد الحرية في صياغة التاريخ؛ فالإنسان يمتلك القدرة على اتخاذ القرار وتغيير الواقع، غير أن أفعاله تخضع لمنظومة من القوانين التي تضمن اتساق العالم وعدم تحوّله إلى فوضى. وهكذا تتشكّل علاقة جدلية بين ما هو ثابت وما هو متغيّر، فلا يُلغى دور الفرد أو الجماعة، ولا تُترك حركة التاريخ نهياً للرغبات العابرة. ويجري تطبيق هذا النسق على جميع الأمم دون تمييز إثني، وهو ما يستدعي الدقة في تحديد هوية الأقسام التي ورد ذكرها في القرآن؛ فثمود وعاد وقوم لوط، وإن ارتبط بعضهم بجغرافيا قريبة من جزيرة العرب، إلا أن منهم من ينتمي إلى الجماعات السامية غير العربية، مثل قوم لوط الذين استقروا في قرى سدوم وعمورة قرب البحر الميت وينسبهم المؤرخون إلى الكنعانيين، مما يقتضي عدم الخلط بين الامتداد اللغوي وبين الانتماء العرقي.

وتتسم هذه السنن بتكاملها بين العوامل المادية والروحية، فلا تُختزل حركة التاريخ في الاقتصاد أو القوة أو الظرف الجغرافي، بل تشمل المنظومة الأخلاقية وما يرتبط بها من قيم العدل والإصلاح. ويظهر هذا التكامل في الربط بين صلاح النفوس وتحول المجتمعات، وفي التأكيد على أن التدهور الحضاري لا ينشأ فقط من انهيار البنى المادية، بل من خلل عميق في منظومة القيم التي تحفظ كيان الجماعة. ومن هذا المنظور، يتكشف البعد الغائي للسنن؛ فهي ليست حركة عشوائية بل تسير نحو مقاصد عليا تتجلى في إرساء الحق وإنصاف الضعفاء وتحقيق التوازن بين الإنسان والوجود.

ولا تُفهم هذه الخصائص إلا ضمن بنية شاملة تجعل السنن شبكة مترابطة، بحيث يؤدي إغفال أحد عناصرها إلى خلل في تفسير حركة التاريخ. فالقرآن يقدم نظاماً متكامللاً لا يمكن فصل أجزائه بعضها عن بعض؛ إذ تمتزج فيه العلل بالغايات، والظاهر بالباطن، وحركة المجتمع



بمستوى الوعي الذي يحمله. ومن خلال هذا الاندماج تتشكل صورة التاريخ بوصفه مساراً يتقدم وفق قوانين راسخة، يستجيب لها الإنسان حين ينهض، ويتجاهلها حين ينحدر، فيبقى المجال مفتوحاً أمام الإرادة البشرية من دون أن تتعطل القاعدة الكونية الجامعة. يقول رشيد رضا في تفسيره: **أَنَّ أَسْرَارَ هَذَا الْكَوْنِ لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا خَالِقُهُ عَزَّ وَجَلَّ - وَأَنَّهُ قَدْ وُجِدَ فِي كُلِّ عَصْرِ وَقَائِعٍ غَرِيبَةٍ تُعَدُّ مِنْ هَذِهِ الْأَسْرَارِ الْجَارِيَةِ عَلَى غَيْرِ نِظَامِ السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الْخَلْقِ، بِحَسَبِ مَا يَتَرَاوَى لِلْجُمْهُورِ بَادِي الرَّأْيِ**^{٢٠}.

السنن التاريخية للعرب قبل الإسلام في القرآن الكريم

سنن النهوض والسقوط في المجتمعات العربية قبل الإسلام

تتبدى السنن التاريخية المتعلقة بالعرب قبل الإسلام في القرآن الكريم ضمن إطار يكشف عن القوانين الحاكمة لحركة المجتمعات من حيث النهوض والانحدار، وذلك من خلال عرض نماذج بشرية تشترك في البنية الوجودية نفسها وإن اختلفت أصولها العرقية واللغوية. ويقتضي تناول هذه السنن أولاً تحرير مفهوم "العرب قبل الإسلام" في سياقه الأنتروبولوجي الصحيح؛ إذ تشير المصادر التاريخية إلى أن العرب تشكلت هويتهم ضمن فضاء شبه الجزيرة العربية، وتوزعوا إلى عرب عاربة وعرب مستعربة.

وفي هذا السياق يعرض القرآن سنة الأخذ بالأسباب باعتبارها محوراً في تفسير نهوض الأمم وسقوطها، حيث يُربط بين الامتلاك المادي وبين طبيعة التوظيف الأخلاقي لهذه القوة. وقد مثلت قصة عاد نموذجاً لهذا القانون؛ فقد مُنحوا قوة مادية استثنائية وصور القرآن ذلك بقوله: **﴿الْم تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾**^{٢١}، إلا أن انحرافهم عن مقتضى القيم أدى إلى انهيارهم، كما يظهر في قوله تعالى: **﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾**^{٢٢}. ويقدم القرآن هذا المثال لا بوصفه حادثة مفردة، بل باعتباره تجسيدا لبنية قانونية تؤكد أن القوة التي تُستخدم في غير وظيفتها الأخلاقية تتحول إلى عامل للانهيار لا للارتقاء.

وتبرز سنة التغيير بوصفها من أكثر السنن التصاقاً بالتحويلات الداخلية للمجتمعات العربية قبل الإسلام؛ فهي تربط التغيير الخارجي بالتحوّل الجوهري في البنية القيمية للأفراد والجماعات. ويشير القرآن إلى هذه العلاقة بقوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾**^{٢٣}، مما يجعل القيم محوراً في هندسة التاريخ. وقد تجلّت هذه السنة في مثال ثمود الذين بسطت أمامهم أسباب الهداية، غير أنهم آثروا الكفر على الشكر، فجاء الجزاء متناغماً مع فعلهم: **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ**



فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ...»^{٢٤}. ويكشف هذا النموذج عن أن الانهيار يبدأ من داخل المجتمع حين يختل نظام القيم الذي يحفظ توازنه.

أما سنة الإمهال والاستدراج، فهي تكشف عن جانب آخر من طبيعة القانون التاريخي؛ إذ لا يقع الجزاء الإلهي على الأمم دفعة واحدة، بل يأتي بعد مراحل من الإمداد والتأجيل تُمكن المجتمع من مراجعة نفسه. ويشير القرآن إلى هذه الظاهرة بقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً...»^{٢٥}، كما تتجلى بوضوح في قصة قوم صالح الذين أمهلوا ثلاثة أيام بعد عقر الناقة: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ...»^{٢٦}. ويظهر هذا الإمهال أن السنن التاريخية لا تعمل وفق الانفعال اللحظي، بل تسير ضمن خط زمني يتيح للأمة اختبار تبعات خياراتها.

ويضاف إلى ذلك سنة التدافع الحضاري، التي تُبرز الصراع الدائم بين قوى الإصلاح والفساد باعتباره محركاً لتاريخ البشرية. ويقرر القرآن هذا القانون بقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...»^{٢٧}. وقد شهدت البيئة العربية قبل الإسلام صوراً متعددة لهذا التدافع بين القبائل، كما تجلى في أحداث مثل قصة أصحاب الأخدود التي تُبرز التوتر بين الرسالة الأخلاقية والقوى الطاغية التي تقاومها. ويظهر هذا النموذج أن الصراع ليس اضطراباً عابراً، بل قانوناً يحفظ التوازن بين القوى المتعارضة.

وتأتي سنة الاستخلاف والتداول لتؤكد أن السلطة والقوة لا تستقر في يد جماعة واحدة إلى الأبد، بل تتداولها الأمم تبعاً لمدى التزامها بالقيم المؤهلة للبقاء. ويقرر القرآن هذا القانون بقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...»^{٢٨}. وقد شهدت المنطقة العربية قبل الإسلام تنقل النفوذ بين قبائل متعددة، مما يعكس ديناميكية داخلية تخضع لقانون التداول بين المجتمعات.

يقول إبراهيم حنان في كتابه التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث مشيراً إلى قول رشيد رضا: "وعلى ذلك عارض رشيد رضا فكرة أن العلم بسنن التغيير الاجتماعي يكفي وحده لتحقيق التقدم، مؤكداً ضرورة العلم بمصدر هذه السنن وحكم الله تعالى فيها. إذ رأى أن الغرب "وإن كانوا على علم واسع بسنن الله في أحوال البشر وسائر أمور الكون، فقد نالوا به ملكاً عظيماً في الأرض، فأكثرهم جهلٌ مصدر هذه السنن وحكم الله تعالى فيها، ولا يعتبرون حق الاعتبار، ولذلك سلط الله بعضهم على بعض"^{٢٩}. ومن هنا، خرج بحكم جديد، مفاده أن العلم بسنن الاجتماع والعمران لا يُعني عن هداية الدين^{٣٠}. وقرّر أن الفهم السليم لمسار التغيير واتجاهه يستلزم فهم السنن التي تتحكم فيه، مؤكداً أن القرآن الكريم مصدرٌ أساسيٌّ يجب أن نستمد منه هذه السنن"^{٣١}



سنن التغيير الاجتماعي في القبائل العربية

يتناول القرآن الكريم سنن التغيير الاجتماعي في القبائل العربية قبل الإسلام، ويبرز كيف أن هذه السنن تتسم بالثبات والعمومية، فهي قوانين إلهية لا تتغير ولا تتبدل. ولتفسير هذه السنن بدقة، يجب أولاً توضيح الهوية التاريخية للأقوام المذكورة؛ فالعرب قبل الإسلام كانوا مجموعة من القبائل التي تشكلت هويتهم ضمن شبه الجزيرة العربية، بينما بعض الأقوام مثل ثمود وعاد وقوم لوط لم يكونوا عرباً بالمعنى العرقي المباشر، بل ينتمون إلى الشعوب السامية المتحدثة بلغات قريبة من العربية، وسكن قوم لوط على سبيل المثال قرى سدوم وعمورة قرب البحر الميت. ويُعد هذا التوضيح أساسياً لفهم السنن التاريخية باعتبارها قوانين عامة تتجاوز الانتماء الإثني، وتركز على الأنماط السلوكية والقيمية للمجتمعات.

ومن أبرز هذه السنن:

سنة الإصلاح والإفساد، حيث يربط القرآن بين صلاح المجتمع واستقامته على الحق وبين استقرار الأمن وازدهار الحياة، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^{٣٢}، في حين يؤدي الفساد والظلم إلى الهلاك، كما جاء في ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^{٣٣}. وقد تجسدت هذه السنة في قصة مدين، حيث انتشر الفساد الاقتصادي والاجتماعي، فأرسل الله إليهم نبيه شعبياً للإصلاح، لكنهم كذبوه، فحل بهم العذاب: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾^{٣٤}.

سنة الترف والإسراف، إذ يشير القرآن إلى أن الترف المفرط سبب رئيس لسقوط الأمم، كما في قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾^{٣٥}. ويشير القرآن أيضاً إلى انتشار الترف بين قبائل معينة قبل الإسلام، مثل قريش، بقوله: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^{٣٦}.

سنة التناصر والتخاذل، حيث يؤكد القرآن أن وحدة المجتمع وتماسكه مصدر لقوته، بينما التفرق والتخاذل يؤديان إلى ضعفه وسقوطه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^{٣٧}. وقد تجلت هذه السنة في تفرق القبائل العربية قبل الإسلام وانشغالها بالصراعات الداخلية، مما أضعف قدرتها على مواجهة التحديات الخارجية.

سنة العصية والتعصب، إذ تحذر السنن القرآنية من العصية القبلية التي كانت سائدة قبل الإسلام، والتي كانت سبباً رئيسياً في تأخر المجتمعات العربية، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^{٣٨}. وقد تجلت هذه السنة في الصراعات والحروب



التي نشبت بين القبائل العربية قبل الإسلام بسبب العصبية القبلية، كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء وغيرهما^{٣٩}.

سنة العدل والحق، وهي سنة إلهية عامة تشمل المجتمع البشري، مع مراعاة حرية الإنسان في اختياره للسلوك، التي تمكّنه من تحقيق موقع الخلافة في عالم الوجود. ويشير القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^{٤٠}. ويظهر هذا المبدأ أن التغيير الاجتماعي المستدام يرتبط بالعدل والحق، وأن الالتزام بالقيم الأخلاقية الأساسية شرط لاستمرارية الأمم واستقرارها. يقول الشيخ الأراكي: سنة العدل والحق سنة إلهية كونية عامة تشمل في عمومها المجتمع البشري، مع فارق في التنفيذ بين منظومة المجتمع البشري وغيره من المنظومات الكونية، نشأ من اختيارية السلوك الإنساني والحرية التكوينية التي وهبها الله للإنسان، وبها استحقّ موقع الخلافة الإلهية في عالم الوجود، دون غيره من المخلوقات. لقد خلق الله الإنسان، وجعله حرّاً في اختيار السلوك الذي يقرّر مصيره. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^{٤١، ٤٢}.

سنن التدافع الحضاري بين العرب وغيرهم

يتناول القرآن الكريم سنن التدافع الحضاري بين العرب وغيرهم من الأمم قبل الإسلام، مشيراً إلى أن هذا التدافع خاضع لقوانين ثابتة في حركة التاريخ لا تتبدل ولا تتغير. وللفهم الدقيق لهذه السنن، من الضروري أولاً توضيح هوية العرب قبل الإسلام والأقوام الأخرى المذكورة في القرآن الكريم. فالأقوام مثل ثمود وعاد وقوم لوط لم يكونوا عرباً بالمعنى العرقي المباشر، بل ينتمون إلى الشعوب السامية المتحدثة بلغات قريبة من العربية، وسكن قوم لوط على سبيل المثال قرى سدوم وعمورة قرب البحر الميت، بينما القبائل العربية الأخرى كانت تتمركز في جزيرة العرب وشبه الجزيرة العربية، وقد ساعد هذا التحديد في فهم حركة السنن التاريخية التي تصف الصراع الحضاري والتفاعل بين هذه المجتمعات.

ومن أبرز هذه السنن:

سنة التداول الحضاري، إذ يشير القرآن إلى أن تداول الحضارات والدول من سنن الله في خلقه، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^{٤٣}، وقد تجلت هذه السنة في تعاقب الحضارات العربية القديمة، وفي انتقال مركز الثقل الحضاري بين مناطق مختلفة في شبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها.





سنة الصراع بين الحق والباطل، حيث يؤكد القرآن أن الصراع بين قوى الحق وقوى الباطل هو قانون حاكم لحركة التاريخ، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^{٤٤}، وقد تجلت هذه السنة في الصراع بين العرب الموحدين (الأحناف) والعرب المشركين قبل الإسلام، وفي مواجهات العرب مع قوى الاستعمار الأجنبي مثل الفرس والروم.

سنة التأثير والتأثر الحضاري، إذ يشير القرآن إلى أن التأثير المتبادل بين الأمم والحضارات سنة من سنن الله، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^{٤٥}، وقد تجلت هذه السنة في التبادل الحضاري والثقافي والتجاري بين العرب والحضارات المجاورة كالفارسية والرومانية والحبشية.

سنة التنافس الاقتصادي، حيث يشير القرآن إلى دور العامل الاقتصادي في التدافع الحضاري، كما في رحلات التجارة لقريش، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * لِإِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^{٤٦}، وقد تجلت هذه السنة في التنافس التجاري بين العرب والحضارات المجاورة، وفي سيطرة قريش على طرق التجارة بين الشام واليمن.

ويشير الباحث بوعبيد صالح الازدهار في كتابه "السنن الاجتماعية ومنطق التدافع والتعارف الحضاري" إلى أن مفهوم التدافع الحضاري عند العلماء والمفكرين المسلمين يتم توظيفه في سياق اجتماعي يرتبط بالدين والقرآن. فقد عرف محمد عمارة التدافع بأنه: "عبارة عن حراك واستباق يعدل الخلل الفاحش بين الفرقاء المختلفين، ليعيد العلاقة بينهم إلى مستوى التوازن الوسطي العادل، وبذلك ينتقي سكون الموات بين الفرقاء المتعددين، وتتجو التعددية من موات الصراع الذي يصرع به طرف غيره من الأطراف"^{٤٧}. كما وصفه في موضع آخر بأنه: "حراك اجتماعي وثقافي وحضاري، وتنافس وتسابق بين الحضارات يعدل المواقف الظالمة والممارسات الجائرة والعلاقات المنحرفة، دون صراع يصرع الأطراف الأخرى، وإنما بالحراك والتسابق الذي يعيد العلاقات المختلفة إلى درجة التوازن والعدل"^{٤٨}.

أي: أن التدافع لا يريدُ صرعاً ولا إزهاقاً للآخر، وليس كما قال بذلك يوسف كمال، بأن المقصود بالتدافع إزهاق نهائي للباطل لا يصلح معه أي لقاء، ولا تتحقق به وحدة بين الأضداد، ويستند الحق على الباطل ليقضي على كل انحراف عن سنة الله^{٤٩}.

سنن الابتلاء والتمكين في قصص العرب البائدة

يتناول القرآن الكريم سنن الابتلاء والتمكين في قصص العرب البائدة، مشيراً إلى أن هذه السنن خاضعة لقوانين ثابتة لا تتبدل ولا تتغير. وللفهم الدقيق لهذه السنن، ينبغي أولاً توضيح هوية العرب قبل الإسلام والأقوام المذكورة في القرآن. فالأقوام مثل ثمود وعاد وقوم لوط لم يكونوا عرباً





بالمعنى العرقي المباشر، بل هم من الشعوب السامية التي تحدثت لغات قريبة من العربية، وسكن قوم لوط على سبيل المثال قرى سدوم وعمورة قرب البحر الميت، بينما العرب الأصليون تمركزوا في جزيرة العرب.

ومن أبرز هذه السنن:

سنة الابتلاء بالنعمة والنعمة، حيث يبين القرآن الكريم أن الله يبتلي عباده بالخير والشر ليتمحن شكرهم وصبرهم، ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^{٥١}. وقد تجلت هذه السنة في قصة عاد، إذ ابتلاههم الله بالقوة والعمران والرخاء، فاستكبروا وطغوا في الأرض، فحل بهم العذاب، ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾^{٥٢}.

سنة التمكين والاستخلاف، إذ يرتبط التمكين في الأرض والاستخلاف فيها بالإيمان والعمل الصالح، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^{٥٣}. وقد تجلت هذه السنة في قصة قوم صالح (ثمود)، الذين مكنهم الله في الأرض وآتاهم النعم، إلا أنهم كفروا وعصوا أمر ربهم، ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ النَّحْدُونَ مِنْ سُهُولِهَا فُصُورًا وَتَنَحَّيْتُمْ الْجِبَالَ بَيُّوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^{٥٤}.

سنة العقاب الجماعي، حيث يوضح القرآن أن العقاب الإلهي قد يشمل المجتمع كله عند انتشار الفساد والظلم، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^{٥٥}. وقد تجلت هذه السنة في قصص الأقيام البائدة كعاد وثمود ومدين وقوم لوط.

سنة النجاة للمؤمنين، إذ ينقذ الله المؤمنين عند نزول العذاب، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^{٥٦}، وقد تجلت في نجاة صالح ومن آمن معه عند نزول العذاب بثمود، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾^{٥٧}.

يقول الدكتور عماد الدين خليل في كتابه "التفسير الإسلامي للتاريخ": " في التفسير الإسلامي، تمتد نظرية الإسلام في المسؤولية الفردية فتشمل النطاق الجماعي، كما سبق أن مر بنا في الفصل الأول، ولا يتحدد مصير أية جماعة إلا نتيجة لما تقدمه من أعمال. وهذا يعني أن التاريخ الديني لا تحكمه جبرية تجعل من فعاليات الأمم المؤمنة حركة صاعدة"^{٥٨}.

نماذج تطبيقية من القرآن الكريم

يتناول القرآن الكريم نماذج تطبيقية للسنن العقابية في قصص الأقيام البائدة، مثل قوم عاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه، موضحاً العلاقة بين الطغيان والكفر بالنعم والعقاب الإلهي.



سنة الإمهال قبل الإهلاك، حيث لم يهلك الله سبحانه وتعالى الأقوام مباشرة بعد طغيانهم وكفرهم، بل أمهلهم وأرسل إليهم الرسل وأقام عليهم الحجة. فقد جاء في حق عاد: ﴿وَالْيَٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^{٦٩}، وفي حق ثمود: ﴿وَالْيَٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾^{٦٠}.

سنة التدرج في العقوبة، إذ يبدأ الله بالإنذار والتحذير، ثم يظهر بعض العلامات والآيات قبل العقوبة النهائية، كما في قصة الناقة مع ثمود: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَدَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾^{٦١}.

سنة تناسب العقوبة مع طبيعة الطغيان، فمثلاً عقوبة قوم عاد الذين اعتمدوا على قوتهم البدنية كانت الريح العاتية: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^{٦٢}. أما ثمود الذين اشتهروا ببناء الجبال، فكانت عقوبتهم الصيحة والرجفة: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَاهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾^{٦٣}، ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾^{٦٤}. قوم لوط انغمسوا في الفواحش فكانت عقوبتهم قلب ديارهم وإمطارهم بحجارة من سجيل: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾^{٦٥}، بينما فرعون وقومه استكبروا فغرقوا في البحر: ﴿فَاننَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^{٦٦}.

سنة الهلاك عند الاستهزاء بالرسول، حيث يُعجل الله بالعقوبة عند السخرية والاستخفاف برسوله: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^{٦٧}.

سنة الإمهال قبل الاستئصال، إذ يؤخر الله الظالمين إلى أجل مسمى ليعطيهم فرص التوبة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^{٦٨}.

سنة إظهار الحق ولو بعد حين، لإعلاء كلمة التوحيد ونصر المؤمنين: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^{٦٩}. وقد تحقق ذلك في العرب قبل الإسلام حين انتصر الإسلام وأصبحت الجزيرة العربية مركزاً للتوحيد، ومنطلقاً للفتوحات الإسلامية.

رأي الباحث

في ضوء ما تناولته هذه الدراسة من تحليل للسنن التاريخية في القرآن الكريم وتطبيقاتها على العرب قبل الإسلام، يرى الباحث أن القرآن الكريم يقدم منهجية فريدة في قراءة التاريخ وتفسيره، تتجاوز السرد التاريخي التقليدي، لتصل إلى استخلاص القوانين الكلية التي تحكم حركة المجتمعات البشرية. فالنص القرآني لا يكتفي بسرد الأحداث، بل يعرض علاقاتها المتبادلة مع

السنن الإلهية التي تنظم مصائر الأمم، وهو ما يمنح التاريخ طابعاً منهجياً قائماً على النظام الإلهي، لا على الصدفة أو المزاج البشري.

إن القرآن الكريم يقدم رؤية شمولية للتاريخ، تعتمد على ربط الأحداث التاريخية بالقوانين الربانية الثابتة، فتظهر حركة المجتمعات البشرية كمسار مترابط ومحدد بخطوط إرشادية، حيث الفساد والطغيان يؤديان إلى الانحلال والهلاك، بينما الإيمان والعمل الصالح يقودان إلى التمكين والاستقرار. ويؤكد الباحث أن دراسة هذه السنن التاريخية تعد ضرورة ملحة للمسلمين المعاصرين، ليس فقط لفهم الماضي، بل لامتلاك أدوات تحليلية ووعي استراتيجي للتعامل مع الحاضر واستشراف المستقبل. فالسنن القرآنية ليست محصورة في أرقام بعينهم أو فترة زمنية محددة، بل هي قوانين عامة تحكم حركة المجتمعات البشرية في كل زمان ومكان.

وفيما يخص العرب قبل الإسلام، يرى الباحث أن القرآن يقدم هذه السنن بصورة واضحة من خلال قصص الأرقام البائدة، مع ضرورة توضيح أن هذه الأرقام ليست جميعها عربية بالمعنى العرقي الدقيق؛ فقوم لوط على سبيل المثال سكنوا سدوم وعمورة قرب البحر الميت، ويُرجح أنهم من الشعوب الكنعانية السامية الناطقة بلغة قريبة من العربية، بينما عاد وثمود يُعدون عرباً لغوياً، أي متحدثين بالعربية دون أن يكونوا محددين بالانتماء العرقي الجامع لجميع العرب لاحقاً.

ويرى الباحث أن القرآن يجعل التاريخ ميداناً للتجربة والعبرة، حيث لا يكون مجرد تراكم للوقائع، بل أداة لفهم القوانين الإلهية الخفية التي تتحكم في مصير الأمم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾^{٧٠}. ومن هذا المنطلق، فإن فهم السنن التاريخية يمكن أن يكون أداة قوية لإعادة تشكيل الوعي الجمعي، والارتقاء بالفكر الإسلامي نحو استيعاب التاريخ كمنهجية لإصلاح الذات والمجتمع.

ويؤكد الباحث على أن السنن الكبرى التي تتحكم في حركة المجتمعات، مثل سنة التدافع، وسنة الاستبدال، وسنة الإمهال والاستدراج، وسنة التناسب بين الذنب والعقوبة، وسنة إظهار الحق، تعمل جميعها في انسجام متكامل لإنتاج أثر حضاري وإنساني محدد. فسنة التدافع تعكس الصراع المستمر بين قوى الخير والشر، بين الحق والباطل، دون أن تكون الغلبة دائمة لأحدهما، بل وفق استحقاقات دقيقة مرتبطة بالعدل الإلهي؛ أما سنة الاستبدال فتبرز في زوال الأمم التي تعجز عن حمل الرسالة الأخلاقية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَنَوَّلُوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾^{٧١}.

أما سنة الإمهال والاستدراج، فهي تمنح الأمم فترة زمنية للتوبة والتدارك، إلا أن استمرارها في الطغيان يؤدي إلى قانون الاستئصال، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^{٧٢}. وهذه السنن تتجلى في العرب قبل الإسلام، حيث أمهلهم الله فترة طويلة من الجاهلية، وأرسل إليهم الرسل والأنبياء،



وأُنزل عليهم البينات، ولم يعاجلهم بالعذاب، إلى أن استحقوا الهزيمة على يد المسلمين في المعارك الكبرى مثل بدر.

وتبرز سنة التناسب بين الذنب والعقوبة في أن العقوبات الإلهية كانت ملائمة لطبيعة الطغيان والفساد، كما في عقوبة عاد بالريح العاتية، وشمود بالصيحة والرجفة، ولوط بالحجارة من سجيل، وفرعون بالغرق، ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ...﴾^{٧٣}، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾^{٧٤}، ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾^{٧٥}، ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ...﴾^{٧٦}.

ويشير الباحث إلى أن القرآن لا يقدم التاريخ بصورة محايدة أو جافة، بل يتعامل مع الوقائع كرسائل إلهية، مشحونة بالدرس والعبرة، فتتحول العبرة إلى ميثاق أخلاقي يربط القارئ بالحاضر والمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾^{٧٧}. وهذه السنن ليست مجرد قواعد تاريخية، بل أدوات لإصلاح الوعي الجمعي، وحرية التفكير، وفهم كيفية تجاوز الانبهار بالماديات، أو الانغماس في الفوضى والانهيار القيمي.

كما يرى الباحث أن القرآن يربط السنن التاريخية بالسنن الكونية، فيظهر أن الكون يخضع لقوانين فيزيائية دقيقة لا تحابي أحداً، والتاريخ يسير وفق قوانين اجتماعية وروحية ثابتة، وهو ما يعزز رؤية إسلامية شمولية للعالم، ويؤكد أن النهضة الحضارية تبدأ من الداخل، من الوعي والسلوك الفردي والجماعي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^{٧٨}.

النتائج

١. السنن التاريخية في القرآن الكريم تمثل قوانين عامة تحكم حركة المجتمعات، لا تتغير بحسب المزاج البشري أو الظروف القومية، وتشمل كل الأمم بغض النظر عن دينها أو أعراقها أو أنظمتها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^{٧٩}.

٢. العرب قبل الإسلام مثلوا نموذجاً واضحاً لتطبيق هذه السنن، حيث أفضى خروجهم عن القيم الأخلاقية والفطرية، وانغماسهم في الفساد والانقسامات الاجتماعية، إلى انهيار سياسي واجتماعي واضح، وتطبيق سنن الهلاك والعقاب الإلهي عليهم، مع إظهار الحق والانتصار للمؤمنين كما في قصص عاد وشمود وقوم لوط وفرعون.

٣. السنن الكبرى التي تتحكم في حركة المجتمعات تشمل: التدافع بين الخير والشر، الاستبدال عند الفشل الأخلاقي، الإمهال والاستدراج، التناسب بين الذنب والعقوبة، وإظهار الحق. هذه السنن مترابطة وتتفاعل لإنتاج أثر حضاري واجتماعي محدد، وتساعد على فهم التاريخ بوصفه ميداناً للتعلم والتجربة، لا مجرد سرد للأحداث.



٤. دراسة هذه السنن تمثل أداة تحليلية قيمة لفهم الحاضر، والتعامل مع المشكلات المعاصرة، من خلال ربط الأسباب بالمسببات وفق منطق السنن، بحيث يصبح الوعي بالتاريخ أداة للتخطيط للمستقبل، واستعادة الموقع الحضاري للأمة الإسلامية، مع الاستفادة من التجارب السابقة في تحصين المجتمع ضد الانحرافات الأخلاقية والسياسية.

٥. الربط بين السنن التاريخية والسنن الكونية يبرز رؤية إسلامية شاملة للعالم، تجعل من القرآن دستوراً للحياة، حيث يبدأ التغيير من الداخل، من السلوك الفردي والجماعي، ويحقق التمكين الحضاري المبني على الالتزام بالقوانين الربانية، وليس على القوة أو الثروة أو الفرضيات السياسية.

٦. أخيراً، السنن التاريخية ليست مجرد أحداث ماضية، بل هي وعد بالتمكين لمن التزم بالقيم الإلهية، وتهديد بالهلاك لمن عاند واستكبر، وهي المفتاح لفهم التاريخ، وبناء الحاضر، واستشراف المستقبل بعين مبصرة ووعي يقظ.

الهوامش

- ١ . الفتح: ٢٣
- ٢ . Kōnstantinos N. ،Philippidēs ،Edward Abbott ،Van Dyck . كتاب تاريخ العرب وآدابهم بجامعيه / مصر: المطبعة الكبرى الأميرية،، ١٨٩٣ . ص ١٨
- ٣ . محمد عبده، تفسير القرآن الحكيم: المشتهر باسم تفسير المنار... وهذه هي الطريقة التي جرى عليها في دروسه في الأزهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده. مصر: مطبعة المنار،، ١٩٠٦ . ج ٨. ص ٥١١
- ٤ . آل عمران: ١٣٧
- ٥ . الأحزاب: ٦٢
- ٦ . محمد مبروك محمد أبو زيد. (د.ت.). مصر الأخرى- ج ٢: التبادل الحضاري بين مصر وإيجبت. Mohamed Mabrouk N.p.: (n.d.)، ص ١٠
- ٧ . مجمع اللغة العربية. (٢٠٠٤). المعجم الوسيط (ط. ٤). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. ص ٤٥٦
- ٨ . كنعان، أحمد. (٢٠٠٩). أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق. بيروت: دار النفائس. ص ١٦٣
- ٩ . هيشور، محمد. (٢٠١١). سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها. الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع. ص ٢٧
- ١٠ . زيدان، عبد الكريم. (٢٠١٣). السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص ١٣
- ١١ . سعيد، جودت. (٢٠٠٥). حتى يغيروا ما بأنفسهم (ط. ٧). دمشق: دار الفكر. ص ١٦٣
- ١٢ . الغزالي، محمد. (٢٠٠٥). كيف نتعامل مع القرآن (ط. ٧). القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. ص ٤٨
- ١٣ . الزخرف: ٢٣
- ١٤ . التميمي، مازن. (٢٠١٣). أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن. دمشق: دار الفكر المعاصر. ص ٣٨٠





- ١٥ . فاطر : ٤٣
- ١٦ . الإسراء : ٧٧
- ١٧ . النحل : ٦١
- ١٨ . ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (٢٠٠٤). تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر). تحقيق: خليل شحادة. بيروت: دار الفكر. ص ٢٨
- ١٩ . الصدر، محمد باقر. (٢٠٠٨). المدرسة القرآنية. بيروت: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر. ص: ١٩٠-١٩٢
- ٢٠ . رضا، محمد رشيد. (١٩٩٠). تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ج ١١. ص ١٩١
- ٢١ . الفجر : ٦-٨
- ٢٢ . فصلت : ١٥
- ٢٣ . الرعد : ١١
- ٢٤ . فصلت : ١٧
- ٢٥ . الأنبياء : ١١-١٢
- ٢٦ . هود : ٦٥
- ٢٧ . البقرة : ٢٥١
- ٢٨ . آل عمران : ١٤٠
- ٢٩ . رشيد رضا. ج ٩. ص ٢٠
- ٣٠ . المرجع السابق. ج ٩. ص ٢٣
- ٣١ . إبراهيم، حنان محمد عبد المجيد. (٢٠١١). التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث دراسة تحليلية نقدية. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ص ١٦٢
- ٣٢ . الحج : ٤١
- ٣٣ . الإسراء : ١٦
- ٣٤ . الأعراف : ٩١
- ٣٥ . القصص : ٥٨
- ٣٦ . قريش : ١-٢
- ٣٧ . الأنفال : ٤٦
- ٣٨ . الفتح : ٢٦
- ٣٩ . ابن عساکر، علي بن الحسن (تحقيق: إياس بن زيد وبيهس بن صهيب). (١٩٩٥). تأريخ مدينة دمشق. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ج ١٠. ص ٣٩٩
- ٤٠ . الإنسان : ٢-٣
- ٤١ . الإنسان : ٢-٣
- ٤٢ . الأراكي، محسن. (٢٠١٠). سنن التطور الاجتماعي في القرآن الكريم. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع. ج ١. ص ٢٥
- ٤٣ . آل عمران : ١٤٠
- ٤٤ . الإسراء : ٨١
- ٤٥ . الحجرات : ١٣
- ٤٦ . قريش : ١-٢

- ٤٧ . عمارة، محمد. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام (ط. ٢). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. صص ١٥٦-١٥٧
- ٤٨ . عمارة، محمد. (١٩٩٨). الحضارات العالمية تدافع أم صراع. سلسلة في التنوير الإسلامي. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. ص ١٨
- ٤٩ . كمال، يوسف. (١٩٧٥). فلسفة التأريخ. مجلة المسلم المعاصر، العدد الثالث، رجب ١٣٩٥هـ، ٤٥-٦٧. ص ٤٧
- ٥٠ . الازدهار، بوعبيد صالح. (٢٠١٨). السنن الاجتماعية ومنطق التدافع والتعارف الحضاري. الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع. ص ٤٥
- ٥١ . الأنبياء: ٣٥
- ٥٢ . فصلت: ١٥
- ٥٣ . النور: ٥٥
- ٥٤ . الأعراف: ٧٤
- ٥٥ . الأنفال: ٢٥
- ٥٦ . يونس: ١٠٣
- ٥٧ . هود: ٦٦
- ٥٨ . خليل، عماد الدين. (١٩٧٥). التفسير الإسلامي للتاريخ. بيروت: دار العلم للملايين. ص ٢٦٣
- ٥٩ . الأعراف: ٦٥
- ٦٠ . الأعراف: ٧٣
- ٦١ . هود: ٦٤
- ٦٢ . الحاقة: ٦-٧
- ٦٣ . الحاقة: ٥
- ٦٤ . الأعراف: ٧٨
- ٦٥ . الحجر: ٧٤
- ٦٦ . الأعراف: ١٣٦
- ٦٧ . الأنعام: ١٠
- ٦٨ . النحل: ٦١
- ٦٩ . التوبة: ٣٣
- ٧٠ . الحشر: ٢
- ٧١ . محمد: ٣٨
- ٧٢ . القلم: ٤٤
- ٧٣ . الحاقة: ٦-٧
- ٧٤ . الحاقة: ٥
- ٧٥ . الحجر: ٧٤
- ٧٦ . الأعراف: ١٣٦
- ٧٧ . يوسف: ١١١
- ٧٨ . الرعد: ١١
- ٧٩ . فاطر: ٤٣





المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأراكي، محسن. (٢٠١٠). سنن التطور الإجتماعي في القرآن الكريم. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (٢٠٠٤). تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) (خليل شحادة، تحقيق). بيروت: دار الفكر.
٣. ابن عساكر، علي بن الحسن. (١٩٩٥). تاريخ مدينة دمشق (إياس بن زيد وببهي بن صهيب، تحقيق). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٤. إبراهيم، حنان محمد عبد المجيد. (٢٠١١). التغيير الإجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث: دراسة تحليلية نقدية. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
٥. التميمي، مازن. (٢٠١٣). أصول وقواعد التفسير الموضوعي للقرآن. دمشق: دار الفكر المعاصر.
٦. الغزالي، محمد. (٢٠٠٥). كيف نتعامل مع القرآن (ط. ٧). القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٧. الازدهار، بوعبيد صالح. (٢٠١٨). السنن الاجتماعية ومنطق التدافع والتعارف الحضاري. الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع.
٨. الصدر، محمد باقر. (٢٠٠٨). المدرسة القرآنية. بيروت: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر.
٩. سعيد، جودت. (٢٠٠٥). حتى يغيروا ما بأنفسهم (ط. ٧). دمشق: دار الفكر.
١٠. زيدان، عبد الكريم. (٢٠١٣). السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد. بيروت: مؤسسة الرسالة.
١١. عمارة، محمد. (٢٠٠٦). في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام (ط. ٢). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
١٢. عمارة، محمد. (١٩٩٨). الحضارات العالمية تدافع أم صراع: سلسلة في التنوير الإسلامي. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٣. كنعان، أحمد. (٢٠٠٩). أزمنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق. بيروت: دار النفائس.
١٤. مجمع اللغة العربية. (٢٠٠٤). المعجم الوسيط (ط. ٤). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
١٥. محمد عبده. (١٩٠٦). تفسير القرآن الحكيم: المشتهر باسم تفسير المنار. مصر: مطبعة المنار.
١٦. محمد مبروك محمد أبو زيد. (د.ت.). مصر الأخرى - ج ٢: التبادل الحضاري بين مصر وإيجبت. N.p.: Mohamed Mabrouk.
١٧. هيشور، محمد. (٢٠١١). سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها. الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع.
١٨. Van Dyck, Edward Abbott. & Philippidēs, Kōnstantinos N. (١٨٩٣). كتاب تاريخ العرب وآدابهم بجامعيه. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.

Sources and References

The Holy Qur'an

1. Al-Araki, Muhsin. (2010). The Laws of Social Development in the Holy Qur'an. Beirut: Dar Al-Hadi for Printing, Publishing, and Distribution.
2. Ibn Khaldun, Abd al-Rahman ibn Muhammad. (2004). Ibn Khaldun's History (Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar fi Tarikh al-'Arab wa al-Barbar wa man 'Asarahum min Dhawi al-Sha'n al-Akbar) (Khalil Shahada, ed.). Beirut: Dar al-Fikr.
3. Ibn 'Asakir, Ali ibn al-Hasan. (1995). History of the City of Damascus (Iyas ibn Zayd and Bayhas ibn Suhayb, ed.). Beirut: Dar al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution.





- 4.Ibrahim, Hanan Muhammad Abd al-Majid. (2011). Social Change in Modern Islamic Thought: An Analytical and Critical Study. Herndon: International Institute of Islamic Thought.
- 5.Al-Tamimi, Mazen. (2013). Principles and Rules of Thematic Interpretation of the Qur'an. Damascus: Dar al-Fikr al-Mu'asir.
- 6.Al-Ghazali, Muhammad. (2005). How to Deal with the Qur'an (7th ed.). Cairo: Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution.
- 7.Al-Izdehar, Bouabid Saleh. (2018). Social Laws and the Logic of Civilizational Conflict and Interaction. Rabat: Dar Al-Aman for Publishing and Distribution.
- 8.Al-Sadr, Muhammad Baqir. (2008). The Qur'anic School. Beirut: Martyr Al-Sadr Center for Specialized Research and Studies.
- 9.Saeed, Jawdat. (2005). Until They Change What Is Within Themselves (7th ed.). Damascus: Dar Al-Fikr.
- 10.Zaidan, Abdul Karim. (2013). Divine Laws in Nations, Groups, and Individuals. Beirut: Al-Risalah Foundation.
- 11.Amara, Muhammad. (2006). On the Jurisprudence of Confrontation Between the West and Islam (2nd ed.). Cairo: Al-Shorouk International Library.
- 12.Amara, Muhammad. (1998). World Civilizations: Defense or Conflict? A Series on Islamic Enlightenment. Cairo: Nahdet Misr for Printing, Publishing, and Distribution.
- 13.Kanaan, Ahmad. (2009). Our Civilizational Crisis in Light of God's Law in Creation. Beirut: Dar al-Nafais.
- 14.The Arabic Language Academy. (2004). Al-Mu'jam al-Wasit (4th ed.). Cairo: Maktabat al-Shorouk al-Dawliyya.
- 15.Muhammad Abduh. (1906). Tafsir al-Qur'an al-Hakim: Commonly known as Tafsir al-Manar. Egypt: Matba'at al-Manar.
- 16.Muhammad Mabrouk Muhammad Abu Zaid. (n.d.). Other Egypt - Vol. 2: Civilizational Exchange between Egypt and Egypt. N.p.: Mohamed Mabrouk.
- 17.Hishour, Muhammad. (2011). The Qur'anic Laws in the Rise and Fall of Civilizations. Algeria: Dar al-Wa'i for Publishing and Distribution.
- 18.Van Dyck, Edward Abbott. & Philippidēs, Kōnstantinos N. (1893). The Book of the History of the Arabs and Their Literature, in its two collections. Egypt: The Great Amiri Press.

